الترجمات والمترجمون

فى كتاب « الفهرست » (*)

للأستاذ الدكتور بدوى طبانة

ليس من الجديد أن يقال إن العصر العباسى كان أزهى عصور الحضارة فى تاريخ العرب والمسلمين ، وليس من الجديد أن يوصف هذا العصر بأنه العصر الذهبى فى ذلك التاريخ الذى اتسعت فيه دولتهم ، وتمكن سلطانهم فى الشرق والغرب ، وهم يحملون معهم رسالة الإسلام ، ويرفعون راية التوحيد ، وينشرون أضواء المعرفة ومبادىء الحق والعدل ومكارم الأخلاق ، ليملؤوا الدنيا هداية ونوراً بعد أن امتلأت ضلالة وجوراً وظلاماً .

وكان العلم بغيتهم فى كل مقصد ، وإمامهم فى كل سبيل ، وزادهم فى كل رحلة فى ملكوت الله ، يبذلون ما علمهم الله ، ويطلبون ما عند غيرهم من الأمم التى سبقتهم إلى التحصيل أو التفكير ، وفى تراثها الجيد والردىء ، والحق والباطل ، والنافع والضار .

وقد منحهم الله القدرة على التمييز ، ليأخذوا بأحسن ما يجدون ، ويطرحوا ما لاخير فيه ، ليكونوا بحق خير أمة أخرجت للناس هداة مهتدين .

وبين أيدينا أثر فى مقدمة الآثار التى تدل على شغف هذه الأمة بتنويع المعرفة ، وولوعهم بتحصيل ماندّ منها ، وحرصهم الشديد عليها ، وركوبهم الصعب فى سبيل البحث عنها ، وبذلهم ماغلا من الجهد والمال فى اقتنائها ونقلها إلى لسانهم العربى فى عصر كان يسود فيه ظلام العصور الوسطى فى أوربا وغيرها من بلدان العالم القريب والبعيد .

ويمثل هذا الأثر مفتاحاً من المفاتيح التى تفتح الطريق إلى الكنوز العلمية التى عرفتها الأمة العربية ، وعرفتها البشرية فى أزمنة طويلة امتدت إلى ما قبل وفاة صاحب هذا الأثر ، وأعنى بهذا الأثر أو بهذا المفتاح كتاب « الفهرست » .

(*) ألقى البحث فى الجلسة العاشرة للمؤتمر المنعقدة يوم الثلاثاء ٢٤ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٥ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٤ م .

« والفهرست » كلمة فارسية معناها الكتاب الذى تجمع فيه أسماء الكتب مرتبة بنظام معين . ويقول مؤلفه موضحاً مضمونه فى خطبة كتابه بقوله :

« هذا فهرست كتب جميع الأمم من العرب والعجم الموجود فيها بلغة العرب وقلمها فى أصناف العلوم ، وأخبار مصنفيها ، وطبقات مؤلفيها وأنسابهم وتاريخ مواليدهم ، ومبلغ أعمارهم ، وأوقات وفاتهم ، وأماكن بلدانهم ، ومناقبهم ومثالبهم منذ ابتداء كل علم اخترع إلى عصرنا هذا ، وهو سنة سبع وسبعين وثلثمائة للهجرة » .

ومؤلف « الفهرست » هو محمد بن إسحاق النديم ، ذكره ياقوت فى كتابه « إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب » المعروف باسم « معجم الأدباء » (ج ١٨ ص ١٧) بقوله « كنيته أبو الفرج ، وكنية أبيه أبو يعقوب ، مصنف كتاب « الفهرست » الذى جوّد فيه واستوعب استيعاباً يدل على اطلاعه على فنون من العلم ، وتحققه لجميع الكتب ، ولا أبعد أن يكون قد كان وراقا يبيع الكتب وذكر فى مقدمة هذا الكتاب أنه صنف فى سنة سبع وسبعين وثلثمائة . وله من التصانيف فهرست الكتب ، وكتاب التشبيهات . وكان شيعيا معتزليا » . ا . هـ .

ويقول عنه جرجى زيدان فى « تاريخ آداب اللغة العربية » (ج ٢ ص ٣١٥) « ابن النديم ، توفى نحو سنة ٣٨٥ هـ ، هو أبو الفرج محمد بن إسحاق بن يعقوب النديم الوراق البغدادى ، صاحب الفضل الأكبر على تاريخ آداب اللغة ، لأنه أول من دونها منذ نحو ألف سنة فى الفهرست . ولولا هذا الكتاب لضاع أخبار كثير من آداب هذا اللسان ، فهو أول من ألف فى آداب اللغة ... » .

* * *

ويتضمن « الفهرست » عشرة أجزاء ، أو عشر مقالات كما سماها المؤلف ، وقد عرض فى كل مقالة منها جنساً من أجناس المعرفة الإنسانية ، وقسم كل جنس منها إلى فنون ، أحصى فى كل فن منها أسماء الكتب التى ألفت فيه ، وأسماء مؤلفيها ، ولم تكن عملية الإحصاء أو الاستقراء عملية هينة كما قد يتصور ، لأنها تتطلب

معرفة واسعة بفنون العلم ، واطلاعا واسعا على مصادر كل فن منها، وذلك مايكبر شخصية ابن إسحاق ، ويدعو إلى الإشادة بقدرته الفائقة على التتبع والاستقصاء ، كما يدل فى الوقت نفسه على عظمة هذه الأمة التى استطاعت عقليتها أن تستوعب تلك المعارف الكثيرة المتنوعة فى فنونها ، والمتعددة فى مصادرها ، وتؤلف فيها حتى خلفت هذا التراث الضخم الذى يبعث على الدهش ، ويثير الإعجاب بما يدل عليه من يقظة الفكر ، والتعلق بالمعرفة ، الذى أثمر هذا الحشد الهائل من كتب التراث التى صنفها الأسلاف فى قرنين أو ثلاثة من القرون ، وهى مساحة محدودة فى حساب الزمان ، وفى تاريخ الحضارات التى لاتؤتى أكلها إلا بعد قرون من الجدّ الموصول .

ومما يدعو إلى الأسى أن كثيراً من تلك المصنفات قد عدت عليه عوادى الزمان ، وما أكثرها فى تاريخ العرب والمسلمين ، ومنها الحروب المدمرة ، والغزوات المتلاحقة الطامعة والحاقدة ، ويكفى سقوط بغداد فى أيدى التتر ، وإلقاؤهم نفائس الكتب يتخذونها معابر لهم فى أمواه دجلة ، ثم الإهمال فى صيانتها ، وتركها لعبث العث والأرضة ،وبيعها لمن يجهل قيمتها ..

وحسب « الفهرست » الذى نجا أكثره من تلك الكوارث أن يكون السجل الباقى الذى حفظ لنا أسماء تلك الآثار العافية ، وعرفنا بموضوعاتها ومضموناتها ، وإن فقدت المسميات وضاع ماكنا ننشده فيها من قطوف العلوم ، وثمرات المعارف .

* * *

وندع تلك المقالات العشر لننفذ إلى ماقصدنا إليه بهذا الحديث ، وهو موضوع مقالة واحدة ، وهى المقالة السابعة التى خصصها ابن إسحق للحديث عن أخبار الفلاسفة والعلوم القديمة والكتب المصنفة فى ذلك ، وهى فنون ثلاثة ، يختص الفن الأول منها بأخبار الفلاسفة الطبيعيين والمنطقيين وأسماء كتبهم ونقولها وشروحها ، وماذكر منها ولم يوجد ، وماوجد ثم عدم .

وبعد حديث طويل عن عيادة الكواكب ، ونشأتها ، يقرر ابن إسحاق أن الفلسفة كانت ظاهرة فى اليونانيين والروم قبل شريعة المسيح

عليه السلام ، فلما تنصرت الروم منعوا منها ، وأحرقوا بعضها ، وخزنوا البعض ، ومنع الناس من الكلام فى شىء من الفلسفة ، إذ كانت ضد الشرائع النبوية . ثم إن الروم ارتدت عائدة إلى مذاهب الفلاسفة .. وأخيراً عادت النصرانية إلى حالها ، فعاد المنع من كتب الفلسفة إلى ما كان عليه .

وقد كانت الفرس قد نقلت فى القديم شيئاً من كتب المنطق والطب إلى اللغة الفارسية ، فنقل ذلك إلى العربى عبد الله بن المقفع وغيره .

ويستفاد من ذلك أن الترجمة كانت إلى الفارسية أولاً ، ومنها إلى العربية . وأن هذه الترجمة بدأت بكتب المنطق وكتب الطب (٣٣٧) .

ويحكى ابن إسحاق عقب ذلك حكاية أخرى ، وهى أن خالد بن يزيد بن معاوية كان يسمى « حكيم آل مروان » وكان فاضلاً فى نفسه ، وله همة ومحبة للعلوم ، فخطر بباله الصنعة ، فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر ، وقد تفصّح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب فى الصنعة من اللسان اليونانى والقبطى إلى العربى .

قال : وهذا أول نقل فى الإسلام من لغة إلى لغة (٣٣٨)

وكانت بين المأمون وملك الروم مراسلات فكتب إليه يسأله الإذن فى إنفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلاد الروم ، فأجابه إلى ذلك بعد امتناع ، فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر ، وابن البطريق ، وسلماً صاحب بيت الحكمة وغيرهم ، فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا ، فلما حملوه إليه أمرهم بنقله فنقل . ويقال إن يوحنا بن ماسويه كان ممن نفذ إلى بلاد الروم .

وأضاف محمد بن إسحاق أن ممن عنى بإخراج الكتب من بلد الروم محمد وأحمد والحسن بنو شاكر المنجم . وبذلوا الرغائب ، وأنفذوا حنين بن إسحاق وغيره إلى بلد الروم ، فجاءوهم بطرائف الكتب ، وغرائب المصنفات فى الفلسفة والهندسة والموسيقى والأرثماطيقى والطب . وكان قسطا بن لوقا البعلبكى قد حمل معه شيئاً فنقله ونقل له .

ونقل ابن إسحاق عن أبى سليمان المنطقى السجستانى أن بنى المنجم كانوا يرزقون جماعة من النقلة ، منهم حنين بن إسحاق ، وحبيش ابن الحسن ، وثابت بن قرة ، وغيرهم ، نحو خمسمائة دينار للنقل والملازمة كل شهر .

وذلك مثال واحد من الأمثلة التى ساقها ابن إسحاق ليدل على مدى حب القوم للبذل ، وسخائهم فى العطاء لنقلة العلوم فى سبيل توجيه الفكر العربى لارتياد آفاق جديدة من المعرفة تضاف إلى تلك الآفاق التى ورثوها من أصول الثقافة العربية والإسلامية .

وأحصى عدداً كبيراً من النقلة إلى اللسان العربى منهم :

اصطفن القديم الذى نقل لخالد بن يزيد بن معاوية كتب الصنعة وغيرها .

والبطريق وكان فى أيام المنصور ، وأمره بنقل أشياء من الكتب القديمة ، وابنه أبو زكريا يحى بن البطريق ، وكان فى جملة الحسن ابن سهل .

والحجاج بن مطر ، فسر كتباً للمأمون ، وهو الذى نقل المجسطى وإقليدس .

وسلام الأبرش من النقلة القدماء فى أيام البرامكة ، ويوجد بنقله « السماع الطبيعى » .

وحبيب بن بهريز مطران الموصل ، فسر للمأمون عدة كتب .

وأيوب الرهاوى ، وسمعان ، فسّرا زيج بطليموس لمحمد بن خالد بن يحى بن برمك ، وغير ذلك من الكتب القديمة .

وابن شهدى الكرخى ، نقل من السريانى إلى العربى « نقلا رديئاً » ، فمما نقل كتاب « الأجنة » لبقراط .

وأبو عمر يوحنا بن يوسف الكاتب أحد النقلة ، ونقل كتاب أفلاطون فى آداب الصبيان .

وأيوب بن القاسم الرقى، نقل إلى العربية ، ومن نقله كتاب إيساغوجى . ومرلاحى ، قال ابن إسحاق « إنه فى زماننا » وقال إنه جيد المعرفة بالسريانية « عفطى » الألفاظ بالعربى ، (١) ينقل بين يدى على بن إبراهيم الدهكى من السريانية إلى العربية .

---

(١) يقال « عفط فى كلامه » إذا تكلم بالعربية ولم يفصح ، والعفّاط كشداد الألكن .

وقسطا بن لوقا البعلبكى جيد النقل ، فصيح باللسان اليونانى والعربى والسريانى ، وقد نقل أشياء وأصلح نقولا كثيرة .

وكذلك أحصى ابن إسحاق أسماء النقلة من الفارسية إلى العربية .

وفى مقدمتهم عبد الله بن المقفع ، وآل نوبخت ، وموسى ويوسف ابنا خالد ، وكانا يخدمان داود بن عبدالله بن حميد بن قحطبة ، وينقلان له من الفارسية إلى العربية ، وعلى بن زياد التميمى ، نقل من الفارسى إلى العربى ، فمما نقل زيج الشهريار ، وإسحاق بن يزيد نقل من الفارسى إلى العربى ومما نقل كتاب « سيرة الفرس » المعروف باختيار نامه كما ذكر جماعة من نقلة الهند والنبط ، منهم منكة الهندى نقل من اللغة الهندية إلى العربية ، وابن دهن الهندى وكان إليه بيمارستان البرامكة نقل من اللسان الهندى إلى اللسان العربى .

وكان ابن وحشية ينقل من النبطية إلى العربية .

* * *

وقد عنى ابن إسحاق عناية بالغة بعلماء اليونان ومفكريهم فى شتى ضروب الفكر ، وبالفلاسفة منهم على وجه الخصوص ، فروى ماعرف من تاريخ حياتهم ، وأورد أطرافاً من أخبارهم ، وتحدث عن بيئاتهم وأساتذتهم وتلامذتهم ، كما بسط آراءهم الفلسفية ، وأحصى مؤلفات كل منهم ، وذكر ما كان موجوداً منها ، ونبه على ما كان منها مفقوداً ، وما نقل منها إلى العربية مباشرة ، وإلى السريانية ومنها إلى العربية ، كما أحصى النقلة والمترجمين من السريان وغيرهم .

ومايزال ما اشتملت عليه تلك التآليف التى فصلها ابن إسحاق فى « الفهرست » فى مقدمة المصادر التى يعتمد عليها ويقبس منها دارسو الفلسفة ومؤرخو التفكير الإنسانى إلى أيامنا . واستطاع ابن إسحاق أن يقدم للقارىء العربى زاداً دسماً من المعارف الإنسانية فى مختلف العلوم والفنون .

ومن أهم ما يتميز به « الفهرست » أن مؤلفه يعمد إلى توثيق أخباره ، ويحرص على نسبة كل رواية إلى راويها وكل قول إلى قائله .

ومن أمثلة ذلك ما يذكره من سؤاله أبا الخير بن الخمار بحضرة أبى القاسم عيسى ابن على عن أول من تكلم فى الفلسفة فقال : زعم فرفوريوس الصورى فى كتابه « التاريخ » وهو سريانى ، أن أول الفلاسفة السبعة ثالس ابن مالس الإمليسى ، وقد نقل من هذا الكتاب مقالتين إلى العربى فقال أبو القاسم : كذا هو ، وما أنكره !

وقال آخرون : إن أول من تكلم فى الفلسفة . بوتاغورس بن ميسارخس من أهل سامينا .

وقال « فلوطرخس » إن « بوتاغورس » أول من سمى الفلسفة بهذا الاسم .

قال ابن إسحاق : والذى رأيناه لبوتاغورس من الكتب : رسالته فى السياسة العقلية ، ورسالته إلى متمرد سقلية ، ورسالته إلى « سيفانس » فى استخراج المعانى . وقد تصاب هذه الرسائل بتفسير « إمليخس » .

قال : ثم تكلم بعد ذلك على الفلسفة سقراط بين سقراطيس من أهل مدينة أثينة ، مدينة العلماء والحكماء ، بكلام لم يدروا منه كبير شىء ، وكان زاهداً خطيباً حكيماً ، وقتله اليونانيون لأنه خالفهم .

وينقل ابن إسحاق ماكتب عن أفلاطون من كتاب فلوطرخس :

ويقرر أنه رأى بخط يحى بن عدى أن « سوفسطس » ترجمة إسحاق بن حنين بتفسير ألا مفيدوس .

وكذلك يحصى كتب أفلاطون وما أكثرها ، ويحصى أسماء مترجميها وأسماء من قاموا بتصحيح شىء من هذه الترجمات .

ثم يتحدث عن أرسطاليس حديثاً طويلاً يفصل فيه تاريخ حياته ووصاياه قبل موته ، ثم يفيض فى ذكر مؤلفاته ومترجميها .

وقد أخطأ فى قوله إن معنى أرسطاليس « محب الحكمة » ، وإنما هى معنى لكلمة « فيلسوف » التى تتركب من كلمتين هما « فيلوس » ومعناها « محب » و « صوفيا » ومعناها « الحكمة » . ، ويقال إن أول من سمى نفسه « فيلسوفا » هو سقراط أستاذ أفلاطون ، وكان « أرسطاليس » أعظم تلاميذ أفلاطون . وقد لقب سقراط نفسه « فيلسوفا » تواضعا وتمييزا له عن السفسطائيين الذين كانوا يقولون إنهم وحدهم « الحكماء » !

ثم يأخذ ابن إسحاق فى ترتيب ما وقف عليه من تراث أرسطو فى المنطق والطبيعيات والإلهيات والأخلاقيات ويبدأ بكتبه المنطقية ، وبعدها ثمانية كتب : « القاطيغورياس » ومعناها المقولات ، و « بارى إرمانياس » ومعناها العبارة ، و « أنا لوطيقا » ومعناها تحليل القياس ، و« أبودقطيقا » وهو « أنا لو طيقا الثانى » ومعناه البرهان ، و « طوبيقا » ومعناه الجدل ، و« سوفسطيقا » ومعناه المغالطة أو الحكمة الموهة ، و « ريطوريقا » ومعناه الخطابة ، و « أبو طيقا » ويقال « بوطيقا » ومعناه الشعر .

ثم يأخذ فى بيان المترجمين والمفسرين ، فيبدأ بالقاطيغورياس ، ويقول إنه قد ترجمه حنين بن إسحاق ، وقد شرحه وفسره كثيرون منهم فرفوريوس ، وإصطفن الإسكندرانى ، ويحيى النحوى ، وأمونيوس ، وثامسطيوس ، وسنيسليقوس ، وترجمة سريانية وأخرى عربية لرجل يعرف بثاون وأبو نصر الفارابى ، وأبو بشر متى بن يونس .

قال : ولهذا الكتاب مختصرات وجوامع مشجرة وغير مشجرة لجماعة منهم ابن المقفع ، وابن بهريز ، والكندى ، وإسحاق بن حنين ، وأحمد بن الطيب الرازى . وهذا الكتاب بتفسير الإسكندر الأفروديسى نحو ثلاثمائة ورقة .

وينتقل إلى « بارى إرمنياس » « أى كتاب العبارة » الذى نقله حنين إلى السريانى ، ونقله إسحاق إلى العربى ، وفسره الإسكندر الأفروديسى - وتفسيره غير موجود - كما فسره يحى النحوى ، وإمليخس ، وفرفوريوس ، واصطفن ، ولجالينوس تفسير - وهو غريب غير موجود - وفسره أيضا قويرى، ومتى بن يونس ، والفارابى ، واختصره حنين ، وإسحاق ، وابن المقفع ، والكندى ، وابن بهريز ، وثابت بن قرة ، وأحمد بن الطيب الرازى .

ثم إلى كتاب أنا لوطيقا الأول ، فكتاب أنا لوطيقا الثانى الذى نقل حنين بعضه إلى السريانى ، ونقله كله إسحاق إلى السريانى أيضاً ، ونقل متى نقْل إستحاق إلى العربى .

ثم إلى الطوبيقا الذى نقله إسحاق إلى السريانى ، وترجم يحيى بن عدى نقله إلى العربى .

وأما كتاب السوفسطيقا أى الحكمة المموهة فقد نقله إلى السريانى ابن ناعمة ومتّى بن يونس ، ونقله عن السريانى يحيى بن عدى إلى العربى .

وأما الريطوريقا ومعناه الخطابة ، فقد قال إنه يصاب بنقل قديم ، وقيل إن إسحاق نقله إلى العربى ، ونقله إبراهيم بن عبد الله ، وفسره الفارابى - أبو نصر .

قال ابن إسحاق : رأيت بخط أحمد بن الطيب : هذا الكتاب نحو مائة ورقة بخط قديم .

وأما البويطيقا ومعناه الشعر فقد نقله متّى من السريانى إلى العربى ، ونقله يحيى ابن عدى . وقيل إن فيه كلاماً لثامسطيوس ، ويقال إنه منحول إليه ، وللكندى مختصر فى هذا الكتاب .

* * *

وعلى هذا النحو يمضى ابن اسحاق فى إحصاء مصنفات المعلم الأول . والتعريف بها ، وإحصاء ترجماتها وذكر مترجميها .

ثم يفرد لذكر كل مترجم من أولئك المترجمين ترجمة خاصة ، يجمع فيها ما قام بترجمته أو تفسيره من كتب اليونان أو الفرس أو الهنود ، ويحصى تآليف هؤلاء المترجمين وما ترجموه ، لأنهم كانوا بالإضافة إلى تمكنهم من لغات الأمم التى ترجموا شيئاً من تراثها الفكرى ، واللغة السريانية أو العربية التى ترجموا إليها ذلك التراث ، كانوا بالإضافة إلى ذلك علماء شجعتهم قراءاتهم الواعية على سعة المعرفة ، والقدرة على الاستقلال بالتأليف .

وهناك ظاهرة تسترعى الانتباه ، وهى تعدد المترجمين للأثر الواحد وكثرتهم .

وكثيراً ما يكون أولئك النقلة فى زمن واحد . ومعنى ذلك أن كل ناقل اطلع على نقل غيره من سبقه إلى النقل ، ورأى فى ذلك النقل ضعفاً أو نقصاً أو خللا ، فدفعه الحرص على سلامة النص ، وصحة الترجمة إلى إكمال النقل وتدارك النقص ، وتصويب الخطأ .

ولم يقف صنيع ابن إسحاق عند هذا الجهد المضنى الجبار الذى بذله فى البحث ومحاولة الاستقصاء والجمع لتلك الآثار من تراثنا العربى والإسلامى ومن تراث الإنسانية فى سائر المعارف التى عرفها الإنسان قبل وفاته

أو قبل السنة التى ألف فيها كتابه ، وهى سنة ٣٣٧ هـ ، فإن له فضل التقسيم والتنسيق الذى ييسر للقارىء سبيل التتبع لتاريخ العلوم وتطورها فى لغة علمية سهلة يظهر فيها حب الإنصاف والتجرد من هوى النفس ومن أثر التعصب لعمل من الأعمال ، أو شخصية من الشخصيات التى عرض لها ، أو جنس من الأجناس .

وله كذلك فضل الإشارة إلى ماوقف عليه بنفسه ، وما نقله عن غيره وإلى ما هو موجود ، وما هو مفقود من ذلك التراث الضخم الذى أحصاه ، وهو يعز على الإحصاء .

وكان ابن إسحاق بالإضافة إلى هذه الخبرة والمعرفة ذا بصيرة أعانته على التحقيق والتقدير والتقويم ، فهو يقول مثلاً فى الكلام على « كتاب النفس » من تراث أرسطو إنه ثلاث مقالات ، نقله حنين إلى السريانى تامًّا ، ونقله إسحاق إلا شيئاً يسيراً ، ثم نقله إسحاق نقلاً ثانياً تاماً ، جوّد فيه ، وشرح « ثامسطيوس » هذا الكتاب بأسره .. (٣٥١) .

ويقول فى الكلام على كتاب « الحس والمحسوس » هو مقالتان ، لا يعرف له نقل يعوّل عليه ، ولا يذكر ، والذى ذكر أن شيئا يسيراً علقه الطبرى عن أبى بشر متّى بن يونس (٣٥٢) .

ويقول فى الكلام على كتاب « الحيوان » : وهو تسع عشرة مقالة ، نقله ابن البطريق ، وقد يوجد سريانى نقلاً قديماً أجود من العربى ، وله جوامع قديمة . كذا قرأت بخط يحيى بن عدى فى فهرست كتبه ، ولنيقولاوس اختصار لهذا الكتاب من خطى يحيى بن عدى .. (٣٥٢) .

ويقول فى الكلام على « أبو ديقطيقا » : وهو أنا لوطيقا الثانى مقالتين نقل حنين بعضه إلى السريانى ، ونقل إسحاق الكل إلى السريانى ونقل متّى نقْل إسحاق إلى العربى ... (٣٤٨)

وقال عن ابن شهدى الكرخى إنه نقل من السريانى إلى العربى « نقلا رديئاً » .

وقال عن « مرلاحى » إنه جيد المعرفة بالسريانية « عفطى الألفاظ » بالعربية !

سيدى الرئيس الجليل ، إخوتى صفوة أهل المعرفة :

تتيح لى هذه المناسبة التى أتحدث إليكم فيها عن كنز من كنوز المعرفة أن أعرض عليكم قضية أشعر أنها تحتاج إلى رأى حاسم تعيدون فيها الحق إلى نصابه ، وتردون من أخطأ إلى الصواب ، وتزيلون وهما علق بالأفهام حتى ظنّ أنه اليقين الذى لا شبهة فيه.

فقد وهم المستشرق فلوجل الذى طبع « الفهرست » للمرة الأولى فى ليبزج سنة ١٨٧٢ م ونسبه لابن النديم ، ونقل عنه مصطفى محمد طبعته الثانية سنة ١٩٣٠ م ، ونسبه كذلك إلى ابن النديم ، وورد عنوان الكتاب فى الطبعتين هكذا (الفهرست لابن النديم) وعمت تلك النسبة سائر المؤلفات التى عرضت لهذا الكتاب ، حتى أثبتها جرجى زيدان كذلك (تاريخ آداب اللغة العربية ٣١٥/٢) .

وأذكر أنى حضرت ندوة فى الرياض فى دار صديقنا العالم الأديب المرحوم عبد العزيز الرفاعى ، ذكر فيها « الفهرست » منسوباً إلى (ابن النديم) .

وما كان لى أن أسكت على خطأ أعرف وجه الصواب فيه ، فقلت إنه (النديم) وليس (ابن النديم) ، ولم يرق هذا القول لواحد من الحاضرين ، فكتب فى إحدى الصحف يفند ما قلت ، ويقول إنه رجع إلى نسخته الخاصة التى أكدت له إن الكتاب لابن النديم كما هو مسجل على ظاهره ، وقلت فى ردّى عليه إنه مصدق فيما قال ، بل أؤكده بأن نسختى الخاصة تحمل اسم (ابن النديم) كما تحمله نسخته .. وقلت : ماذا يحسب لى من الفضل إذا قلت إن مؤلف الفهرست هو النديم ؟ وماذا يحسب من الفضل لمن يقول إنه (ابن النديم) .

لا شىء ؛ لأن المسألة فى حقيقتها مسألة سماعية أو (توقيفية) وليست من المسائل (الاجتهادية) التى يقول فيها كل واحد برأيه .

والحقيقة أن ما صرحت به فى تلك الأمسية لم يكن إلا شيئاً من رواسب الذكريات وقليلاً من الفوائد التى وعيتها عن بعض أساتذتى المحققين ، رحمهم الله جميعاً ، وقد كان مما وعيت عنهم أن (النديم) هو محمد بن إسحاق ، وليس أباه .

وبهذه الحقيقة كنت أقول . وبها كنت أرد من أخطأ إلى الصواب .

فلما كتب الشيخ كلمته كان علىّ أن أبحث عن الدليل ، وإلا كنت كالمدعى بغير بينة ، ولن يشفع لى عند الناس أن أقول إننى أخذتها عن أساتذتى المحققين .

وأسرعت إلى كتب الطبقات ، وكان أقرب ما عثرت عليه منها كتاب (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) المعروف باسم (معجم الأدباء) فوجدت فيه ما نصه مضبوطا :

محمدُ بن إسحاقَ النديمُ ..

كنيته أبو الفرج ، وكنية أبيه أبو يعقوب ، مصنف كتاب (الفهرست) الذى جود فيه ، واستوعب استيعابا يدل على اطلاعه على فنون من العلم .. (معجم الأدباء ج ١٨ ص ١٧) طبعة دار المأمون .

وقد أدخل علىّ ضبط كلمة (النديم) بالضم كثيراً من الاطمئنان . لأنها بهذا الضبط تكون صفة لمحمد (المرفوعة) وليست لإسحاق (المجرورة) وبخاصة أن هذه الطبعة حققها عالمان كبيران هما المرحومان أحمد يوسف نجاتى ، وعبد الخالق عمر .

ومع ذلك خشيت أن يظن ظانّ أن ضبط (النديم) من أخطاء الطباعة فوقع بين يدىّ كتاب (الأعلام) للمرحوم خير الدين الزركلى فقرأت فيه ما نصه :

(اشتهر صاحب الترجمة بابن النديم إلا أن محقق طبعة (الفهرست) فى طهران (شعبان سنة ١٣٩١ هـ) رضا - تجدد نبه إلى أنه هو (النديم) لا (ابن النديم) وصوّر الصفحة الأولى من مخطوطة نفيسة فى تشستربتى جاء اسم الكتاب فيها (الفهرست للنديم) وعلى هامشها من اليمين بخط المؤرخ أحمد بن على المقريزى ما نصه (مؤلف هذا الكتاب أبو الفرج بن أبى يعقوب إسحاق بن محمد بن إسحاق الوراق المعروف بالنديم) (الأعلام ج ٦ ص ٢٩) طبعة دار العلم للملايين ١٩٧٩ م .

وبحثت عن طبعة طهران التى أشار إليها المرحوم خير الدين الزركلى لأقف عليها بنفسى، وكان من توفيق الله تعالى أننى عثرت على نسخة منها .

والكتاب مطبوع فى مطبعة (دانشكاه) طهران ، فى شعبان سنة ١٣٩١ هـ (أكتوبر

سنة ١٩٧١ م) وعدد صفحات هذه الطبعة ٦٠٢ من القطع الكبير .. والمحقق هو (رضا- تجدد بن على بن زين العابدين الحائرى المازندرائى) . وقد كتب فى مقدمته (إن الذى سهل على (النديم) قيامه بهذا العمل كونه وراقا ، والوراقون أخبر الناس بالكتب وموادها ..) .

ثم أشار إلى الأخطاء الكثيرة التى وقعت فى طبعة جوستاف فلوجل - ليبزج - ألمانيا سنة ١٨٧٢ م وفى الطبعة المصرية ، واعتمد المحقق فى تحقيقه على مخطوطة تشستربتى رقم ٣٣١٥ بدبلن عاصمة أيرلنده الجنوبية ومخطوطة شهيد على باشا رقم ١٩٣٤ بمكتبة السليمانية بإسلامبول ، بالإضافة إلى ما أفاده من فلوجل .

وقد طبع على ظاهر الكتاب اسمه هكذا : كتاب الفهرست للنديم .

أبو الفرج محمد بن أبى يعقوب إسحاق المعروف بالوراق ..

وقد صوّرتُ صفحة العنوان كما صورتُ الصفحة الأولى من مخطوطة تشستربتى ، وعلى يمينها ترجمة مختصرة للنديم (مؤلف الفهرست) نصها :

(مؤلف هذا الكتاب أبو الفرج محمد بن أبى يعقوب إسحاق بن محمد بن إسحاق الوراق المعروف بالنديم .. روى عن أبى سعيد السيرافى وأبى الفرج الأصفهانى وأبى عبد الله المرزبانى وآخرين ، ولم يرو عنه أحد ، وتوفى يوم الأربعاء لعشر بقين من شعبان سنة ثمانين وثلثمائة ببغداد ، وقد اتهم بالتشيع ، عفا الله عنه) :

وهذه الترجمة بخط الشيخ أحمد بن على المقريزى .. وبجوارها عبارة تملكه للمخطوطة بخطه أيضاً ، مما يؤكد أن المقريزى قد قرأ هذا الأصل الذى اعتمد عليه الناشر فى التحقيق .

ولعل فى هذا كله ما يكفى لتبين وجه الصواب، والاطمئنان إلى أن مؤلف (الفهرست) هو (النديم) وليس (ابن النديم) .

بدوى طبانة

عضو المجمع

* *

* * *

كتاب الفهرست للنديم

أبو الفرج محمد بن أبى يعقوب اسحق المعروف بالوراق

المتوفى ببغداد سنة ٣٨٠ هـ

تحقيق

رضا - تجدّد

حقوق الطبع محفوظة للمحقق

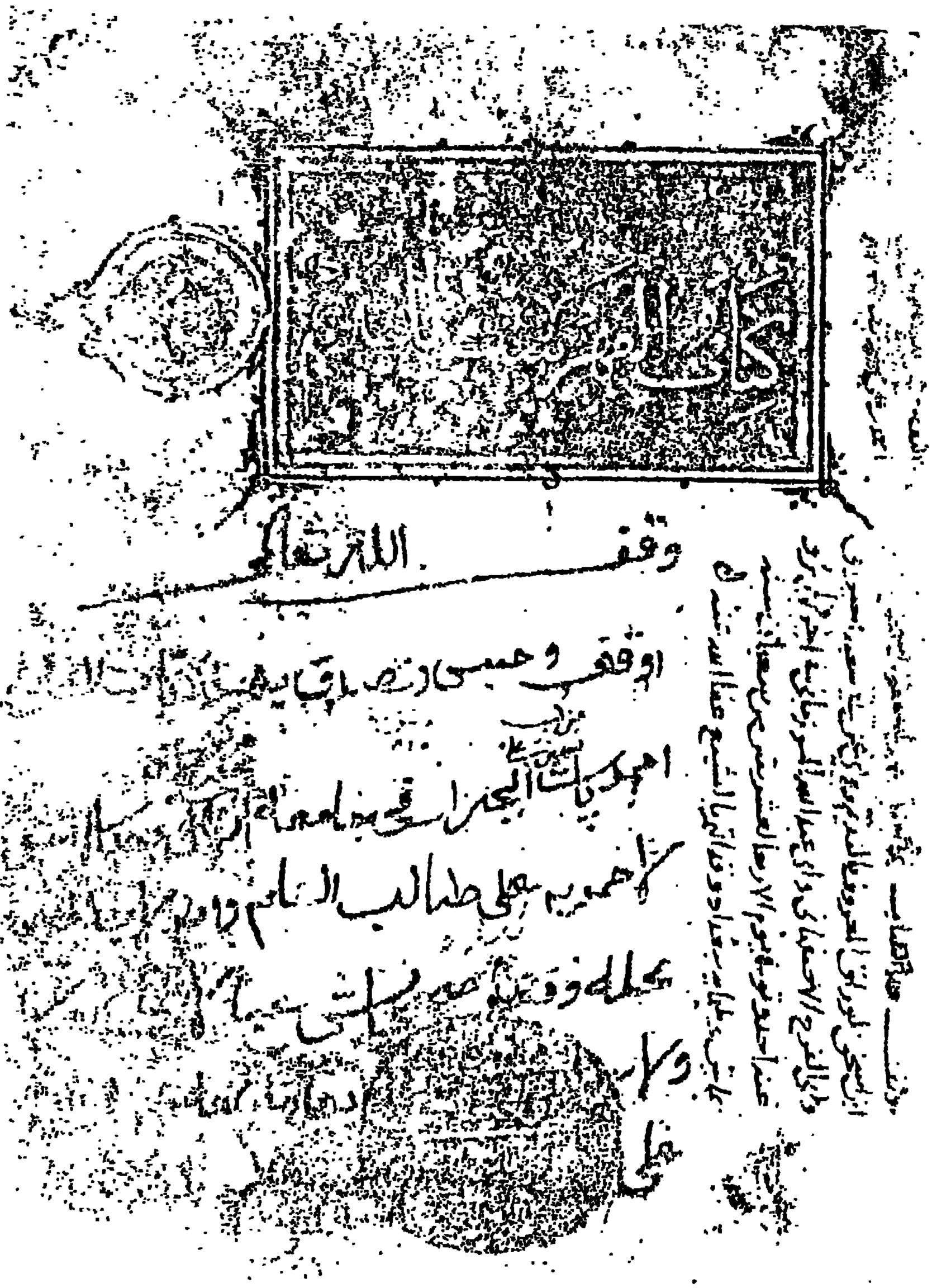

(١)

الصفحة الاولى من مخطوطة چستر بيتى